الحياة الطيّبة
السنة ١٩
العدد ٣٢
خريف ٢٠١٥ م
ملف العدد

الإنسان في تعاليم الإسلام
- رؤية حقوقيّة مقارنة -

الدكتور عبد الحكيم سليمي[1]

خلاصة:

الشائع في الثقافة الغربيّة هو أنّ الغرب منشأ حقوق الإنسان، وأنّ كلّ تطوّر أو تحوّل إيجابيّ في هذا الإطار هو من إبداع الغربيّين! وقد تمّ التغافل عن مسألة حقوق الإنسان في الأديان السماويّة، وبالأخصّ في الإسلام، وعن دور الرسول الأكرم ﷺ في إحياء حقوق الإنسان وتطويرها؛ مع العلم أنّ فلسفة تشريع الدين وبعثة الأنبياء عليهم السلام غايتها صلاح الإنسان ونجاته من القيود البشريّة، وإحياء الحقوق الإنسانيّة، وإيجاد أسباب الكمال الإنسانيّ؛ فلقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليفكّوا البشر من الأغلال الداخليّة والخارجيّة التي تُقيّد الإنسان؛ وهي عبارة عن الأهواء النفسانيّة، وحكّام الطاغوت.

ولأنّ حقوق الإنسان وتكاليفه من الناحية العقليّة يجب أن تكون على أساس السعة الوجوديّة للإنسان، فلا يوجد من هو محيط بالأبعاد الوجوديّة للإنسان سوى خالقه؛ ولذلك يجب أن يكون المعيّن لحقوق الإنسان الحقيقيّة محيطاً به، وعالماً باحتياجاته، والحقّ يجب أن يصدر من منبع كهذا، وإلّا فإنّ كلّ مبدأ آخر لن يكون مصدراً حقيقيّاً لأحكام حقوق الإنسان؛ بسبب النقص الذي يعتريه.

وعليه، تعود جذور حقوق الإنسان إلى الدين، وإلى الكتب السماويّة، وبالأخصّ

(1) باحث في الفكر الإسلاميّ، من إيران.

إلى القرآن الكريم. وأمّا الحقوق الأساس التي جاء الإعلان العالميّ لحقوق البشر على ذكرها؛ أمثال: الكرامة الإنسانيّة، وحقّ الحياة، وحرّيّة الفكر والبيان، وحقّ المساواة، وحقّ التعليم والتربية... فقد ذكرها الإسلام قبل قرون عديدة على صدور ذاك الإعلان، وفق رؤية سامية تكفل للإنسانيّة حقوقها الممنوحة لها من قِبَل الله تعالى.

مصطلحات مفتاحيّة:

حقوق الإنسان، الرؤية الإسلاميّة، الرؤية الغربيّة، حقيقة الإنسان، الرؤية التوحيديّة، الاستخلاف، الكرامة الذاتيّة، الكرامة الاكتسابيّة، حقّ الحياة، حرّيّة الفكر والبيان، الحرّيّة التكوينيّة، الحرّيّة التشريعيّة، المساواة، المساواة الاجتماعيّة، حقّ التعليم والتربية، ...

مقدّمة:

يتّضح من خلال تعاليم الإسلام وتاريخ اجتماع الأديان السماويّة أنّ أيّ تغيير حصل في مجال حقوق الإنسان، مرهون بجهود أنبياء الله عليهم السلام المخلصة، وبالأخصّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان البعض يتحدّث اليوم عن حقوق الإنسان، فإنّ الإسلام قد أشار إلى ذلك قبل أربعة عشر قرناً، حيث عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكلّ ما أوتي من قوّة على تطويرها.

وقد ذكر القرآن الكريم أنّ من أبرز أهداف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إيجاد الأخلاق والمعنويّات، وإقامة القسط والعدل، والتربية والتزكية، ومواجهة الجهل، وإيجاد الأرضيّة المناسبة للحياة في أجواء الصلح والسلام. ويترتّب على هذه الأمور إحياء حقوق الإنسان وتطويرها، وهدايته نحو كماله النهائيّ. وهذا ما تُشير إليه سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

لكنّ الشائع في الثقافة الغربيّة أنّ الغرب هو منشأ حقوق الإنسان، وأنّ كلّ تطوّر أو تحوّل إيجابيّ في هذا الإطار هو من إبداع الغربيّين! وقد تمّ التغافل عن مسألة حقوق الإنسان في الأديان السماويّة، وبالأخصّ في الإسلام، وعن دور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في إحياء حقوق الإنسان وتطويرها؛ مع العلم أنّ الأنبياء عليهم السلام هم القادة الحقيقيّون للبشر، وهم حلقة الاتّصال بين قافلة البشر وخالق الكون والإنسان.

ولعلّ من أبرز أهداف أنبياء الله عليهم السلام: تعليم الإنسان وتربيته: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2]، وتحرير الإنسان من الجهل والخرافات: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ

(1) سورة البقرة، الآية 129.
(2) سورة الجمعة، الآية 2.

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، ورفع النزاعات والاختلافات وإزالتهما: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]، والإنذار والتبشير: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]، وإتمام الحجّة: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4].

وقد عمل الأنبياء عليهم السلام من خلال تعليم الأحكام الإلهيّة على أن يقودوا المجتمع البشريّ نحو الوحدة، والتعاون، والإيثار، والتفاهم، والحياة الهنيئة السالمة؛ بناءً على المشتركات، وأن يبعدوه -بالتّالي- عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين.

وسنحاول في هذه المقالة توضيح موقع حقوق البشر في تعاليم الإسلام ودوره في إحياء هذه الحقوق وتطويرها؛ ولكن قبل أيّ شيء، ينبغي الإطلالة -بشكل إجمالي- على أوضاع حقوق الإنسان قبيل البعثة النبويّة الشريفة.

أولاً: أوضاع حقوق الإنسان قبيل البعثة النبويّة الشريفة:

تكتسب مسألة التعرّف على أوضاع حقوق البشر المضطّربة قبيل البعثة، أهمّيّة خاصّة، لجهة أنّها تُساعد في توضيح دور الإسلام في

(1) سورة الأعراف، الآية 157.
(2) سورة البقرة، الآية 213.
(3) سورة الأنعام، الآية 48.
(4) سورة النساء، الآية 165.

تنظيم العلاقات الاجتماعيّة العادلة، وإيجاد الأمن، وإحياء حقوق الإنسان وتطويرها.

ويُشير التاريخ إلى أنّ الرسول ﷺ عندما أُرسل بالرسالة لهداية البشر، كانت الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان قد طالهما النسيان. وقد ساهم الشرك، وعبادة الأصنام، وفقدان الهويّة الذاتيّة في القضاء على أيّ فرصة للتفكير في هذا المجال، عدا إيجاد التحوّل فيه. فقد كان احترام حقوق الإنسان -آنذاك- فاقداً لأيّ موقع في الحياة البشريّة. ويُشار إلى أنّ المؤرّخين الذين ركّزوا على الأوضاع المضطّربة لحقوق الإنسان أشاروا - أيضاً - إلى دور الرسول ﷺ المحوريّ في إحياء الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان.

ويظهر أنّ القرآن الكريم ونهج البلاغة هما المصدران الأكثر ثقة ودلالة في هذا الإطار؛ حيث إنّ الرجوع إليهما يُغني الباحث عن أيّ بحث وتتبّع عن أوضاع حقوق الإنسان في تلك المرحلة، ويُساعده في الاطّلاع على دور الرسول ﷺ في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة بشكل عادل، وفي إحياء حقوق الإنسان وتطويرها.

ويُشير القرآن الكريم إلى أنّ الله - تعالى - أرسل الرسول ﷺ؛ لأجل هداية البشر، وأمره تعليم الناس أحكام الإسلام، وأن يطلب منهم اتّباع الصراط المستقيم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]. وقد جاء في آيات قرآنية أخرى ما يُشبه التعاليم المتقدّمة، وتُشكّل الآيات المتقدّمة صورة واضحة عن الحالات، والأخلاق، والحقوق، والعادات المريضة لحياة البشر في زمان البعثة، وتوضّح أنّ من أبرز الآفات التي راجت في تلك المرحلة الآتي: الشرك، وعبادة الأصنام، وعدم احترام الوالدين، وقتل الأبناء، ورواج أنواع القبائح، والتعرّض لأموال الأيتام، والظلم وعدم العدل، وقتل النفس، وعدم الوفاء بالعهود؛ وهي جميعها تُشكّل التعاليم العشرة - التي أكّدت عليها الآيات المتقدّمة-؛ بوصفها جزءً أساساً من أهداف دين الإسلام وتعاليمه التي تهدف إلى إحياء حقوق الإنسان وتطويرها؛ وهي:

1. إزالة الشرك من العالم (الدفاع عن التوحيد).
2. إحياء أصل الإحسان إلى الوالدين (الدفاع عن حقوق الوالدين).
3. حرمة قتل الأبناء؛ لكونها جريمة منكرة (الدفاع عن حقوق الأطفال).
4. مواجهة القبائح وأنواع الرذائل، ما ظهر منها وما بطن (إحياء حقّ التعليم والتربية).
5. حرمة قتل النفس المحترمة (الدفاع عن حقّ الحياة).
6. حرمة الاعتداء على أموال اليتيم (احترام حقّ المالكيّة).
7. جعل العدل في مقدّمة الحياة البشريّة (العدل هو مبنى الحقوق والتكاليف البشريّة).
8. جعل القدرات والاستعدادات معيار التكليف (أصل التناسب بين الاستعدادات والتكاليف).
9. رعاية العدل في القول (العدل هو معيار حرّيّة البيان).
10. دعوة الناس إلى عهد الخالق (إحياء أصل الوفاء بالعهد).

إنّ التعاليم العشرة المتقدّمة التي تبدأ بـ«**التوحيد**»، وتنتهي بأصل

(1) سورة الأنعام، الآيات 151-153.

«**الوفاء بالعهد**»، تلعب دوراً خاصّاً في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة للبشر؛ لأنّ أصلي التوحيد والوفاء بالعهد من جملة أصول حقوق البشر ومبانيها، وأساس كافّة الحركات الإصلاحيّة في المجتمع البشريّ؛ كما أنّ الشرك وعدم الوفاء بالعهد، يُعدّان منشأ كافّة المفاسد الاجتماعيّة، ومن أبرز دواعي الاعتداء على حقوق الإنسان.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ أكثر الأوضاع سوءً قبيل البعثة يكمن في شيوع الشرك، ورواج عبادة الأصنام، وأمّا مواجهة هذه الآفّة الكبيرة في النظام الحقوقيّ الإسلاميّ، فتتمثّل في جعل التوحيد مبنى حقوق الإنسان ومنشأها: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ**﴾[1]؛ أي أنّ للحقّ منشأ إلهيّاً، ناشىء عن الإرادة الإلهيّة. و «لعلّ من جملة الأمور الظريفة في الآية أنّه قيّد كلمة الحقّ بـ «**من**» الابتدائيّة؛ أي أنّ الله – تعالى – هو مبدأ الحقّ ومنشؤه؛ وليس أنّ الحقّ قرين له. فالحقّ منه بالأصالة، وسريان كافّة الحقوق وسيلانها منه تعالى. فالقرب منه قرب من الحقّ، والبُعد عنه بُعْد عن الحقّ. وأمّا الوصول إلى الحقّ وإحياؤه في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، فيتطلّب سلوك الطريق الحقيقيّ الوحيد، وهو الطريق الإلهيّ الذي تمّ تعليمه الأنبياء عليهم السلام بواسطة الوحي»[2].

إنّ تعيين حقوق الإنسان وتكاليفه من الناحية العقليّة يجب أن يكون على أساس السعة الوجوديّة للإنسان، ولا يوجد من هو محيط بالأبعاد الوجوديّة للإنسان سوى خالقه؛ ولذلك يجب أن يكون المعيّن لحقوق الإنسان الحقيقيّة محيطاً به، وعالماً باحتياجاته، والحقّ يجب أن يصدر من منبع كهذا، وإلّا فإنّ كلّ مبدأ آخر لن يكون مصدراً حقيقيّاً لأحكام حقوق الإنسان؛ بسبب النقص الذي يعتريه[3].

(1) سورة آل عمران، الآية 60.
(2) جوادي آملي، عبد الله: الحقّ والتكليف في الإسلام، ط2، قم المقدّسة، مركز نشر إسراء، 1385هـ.ش، ص158.
(3) انظر: م.ن، ص 184.

اتّضح ممّا تقدّم أنّ فلسفة تشريع الدين وبعثة الأنبياء عليهم السلام غايتها صلاح الإنسان ونجاته من القيود البشريّة، وإحياء الحقوق الإنسانيّة، وإيجاد أسباب الكمال الإنسانيّ؛ فلقد جاء الأنبياء عليهم السلام ليفكّوا البشر من الأغلال الداخليّة والخارجيّة التي تُقيّد الإنسان؛ وهي عبارة عن الأهواء النفسانيّة، وحكّام الطاغوت.

ولعلّ أبرز عبارات في هذه المجال ما جاء على لسان جعفر بن أبي طالب عليه السلام - وهو المتحدّث باسم المسلمين الذين هاجروا صدر الإسلام إلى الحبشة، وكلماته قبس من تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله - عندما سأله ملك الحبشة: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فقال له: أيُّها الملك، كُنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف. فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كُنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نُشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه، وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نُشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا»[1].

لقد كانت عبارات جعفر جذّابة ملهمة، بحيث تركت تأثيرها على ملك الحبشة؛ لذلك وجدناه يُثني على الأفكار التي يحملها المسلمون، على الرغم من مخالفة بعض المحيطين به، فمنحهم الحرّيّة الكاملة. ثمّ إنّه رفض دعوة قريش التي طلبت استرجاع المهاجرين، وأعاد إليهم الهدايا

(1) ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، لا ط، بيروت، دار صادر، لا ت، ج1، ص201-202.

التي أرسلوها إليه رشوةً على ذلك، فقال: «ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه...»[1].

وقد تحدّث الإمام علي عليه السلام عن أوضاع حقوق الإنسان المضطّربة في عصر البعثة، فقال عليه السلام: «**ثمّ إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع، وأقبل من الآخرة الاطّلاع، وأظلمت بهجتها بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وخشن منها مهاد، وأزف منها قياد، في انقطاع من مدّتها واقتراب من أشراطها، وتصرّم من أهلها، وانقصام من حلقتها، وانتشار من سببها، وعفاء من أعلامها، وتكشّف من عوراتها، وقصر من طولها. جعله الله بلاغاً لرسالته، وكرامة لأمّته، وربيعاً لأهل زمانه، ورفعة لأعوانه، وشرفاً لأنصاره**»[2].

ويقول عليه السلام في مكان آخر عن عصر البعثة: «**أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجمة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها. وإغوار من مائها. قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى. فهي متهجّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها. ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف؛ فاعتبروا عباد الله**»[3].

وبعد أن تعرّفنا بشكل مجمل على ما كانت تُعاني منه البشريّة في عصر البعثة، على مستوى حقوق الإنسان، سنُحاول الإشارة إلى أركان نظام حقوق الإنسان الذي أسّسه الدين الإسلاميّ؛ بهدف بيان الرؤية الإسلاميّة لماهيّة الإنسان وحقوقه وواجباته؛ الفرديّة والاجتماعيّة.

(1) ابن هشام، محمد: السيرة النبويّة، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985م، ج1، ص338.
(2) العلوي، محمد بن الحسين (الشريف الرضي): نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، ترجمة: محمد دشتي، قمّ المقدّسة، نشر آل طه، 1379هـ.ش، الخطبة198.
(3) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، الخطبة89.

ثانياً: حقيقة الإنسان في الرؤية الإسلاميّة:

بما أنّ «**الإنسان**» هو موضوع حقوق البشر؛ لذلك كان البحث عن حقيقة الإنسان وماهيّته من الأبحاث الهامّة؛ باعتبار أنّ أيّ موقف تتّخذه عن حقيقة الإنسان، فإنّ ذلك سيؤثّر بشكل مباشر على أوضاع حقوق البشر، فكلّ فهم للإنسان سيترك أثراً كبيراً على تعريف حقوق الإنسان وتوضيحها والدفاع عنها.

وفي هذا الصدد تُطرح أسئلة عدّة؛ من قبيل: ما هو الإنسان؟ وهل الإنسان موجود مادّي وطبيعيّ تتلخّص حياته في دائرة الولادة والموت؟ وهل للإنسان حقيقة وراء المادّة، وأن ليس له حياة محدودة بالعالم المادّيّ؟ وهل يمتلك الإنسان حقّاً أم أنّ عليه تكليفاً؟ وهل تتمكّن البشرية بمفردها من استخراج استعداداتها وقابليّاتها الداخليّة، وإيصالها إلى ثمارها؟ ولماذا يكون الإنسان ذا كرامة؟ وهل كرامة الإنسان أمر ثابت ومستمرّ؟ وما هي فلسفة حرّيّة الإنسان؟ وهل حرّيّة الإنسان مطلقة أم محدودة؟ وغيرها من الأسئلة التي تستوجب إجابات شافية في مجال بحث النظام القيميّ والحقوقيّ المرتبط بالإنسان.

ورد في القرآن الكريم بحقّ الإنسان أرقى الثناء وأدنى الذمّ. فالإنسان موجود ذو قيمة، ويستحقّ التكريم بذاته. وقد تحدّث القرآن عن الإنسان[1]، وأنّه خليفة الله على الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، وأنّه ذو كرامة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[4]، حيث قال – تعالى –

(1) ذُكِرَت كلمة «الناس»في القرآن الكريم 240 مرّة، وكلمة «الإنسان» 61 مرّة، وعبارة «يا أيها الناس» 84 مرّة.
(2) سورة البقرة، الآية 30.
(3) سورة الإسراء، الآية 70.
(4) سورة البقرة، الآية 34.

جواباً على اعتراض الملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، وخلق الإنسان في أحسن تقويم؛ من أجل تكميل أمر الخلافة: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[2]، وجهّزه بنعمة العقل والإدراك: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[3]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[4]، وعلّمه ما لا يعلم: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[5]، وأعطاه نعمة البيان: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[6]، وفطره فطرةً إلهيّة، وجعله لا يطمئنّ إلا بذكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[7]، وإذا نسي الله فقد نسي نفسه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[8]، وبعد انتهاء مراحل خلق الإنسان، قال الله – تعالى–: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[9].

إنّ الإنسان في هذه الرؤية عبارة عن موجود اختاره الله – تعالى –، وهو ذو روح وجسم، باسط سلطته على ذاته وعلى العالم، ويمتلك نعمة العقل والكرامة الإنسانيّة وفطرة معرفة الله، ويتمتّع بقدرات علميّة وعمليّة عالية، وهو مسؤول أمام الله – تعالى – عن نفسه.

ومن جهة أخرى –جهة أدنى الذمّ–، الإنسان موجود ظالم جاهل: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[10]، وعجول: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾[11]، وطاغي: ﴿كَلَّآ إِنَّ

(1) سورة البقرة، الآية 30.
(2) سورة التين، الآية 4.
(3) سورة البقرة، الآية 242.
(4) سورة يوسف، الآية 2.
(5) سورة العلق، الآية 5.
(6) سورة الرحمن، الآية 4.
(7) سورة الرعد، الآية 28.
(8) سورة الحشر، الآية 19.
(9) سورة المؤمنون، الآية 14.
(10) سورة الأحزاب، الآية 72.
(11) سورة الإسراء، الآية 11.

ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[1]، وغير شكور: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2]، وخصيم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[3]، وأضلّ من الأنعام: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[5]، وهو شرّ الدوابّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[6]، وتُبيّن عبارات الذمّ التي ذكرها القرآن الكريم أنّ التكريم الإلهيّ للإنسان؛ إنّما هو بسبب المسؤوليّة والدور الذي يقوم به الإنسان تجاه حقيقة الوجود. فإذا عرف الإنسان أهمّيّة هذا التكريم الإلهيّ، واستعمل النعم الإلهيّة بشكل صحيح، وعمل على إيصال الاستعدادات البشريّة المتعالية إلى فعليّتها؛ عند ذلك يستحقّ المدح والثناء، وإلا فهو يستحقّ الذمّ. والحقيقة أنّ الذمّ والمدح في القرآن الكريم يوضّحان امتلاك الإنسان كافّة الكمالات بالقوّة، ويبقى عليه إيصالها إلى فعليّتها.

بناءً على الرؤية التوحيديّة في الإسلام، فإنّ الإرادة الإلهيّة تجعل الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو مظهر صفاته وكمالاته. وأمّا وظيفته فهي إظهار العدل وإقامته، وإشاعة الرحمة والمحبّة على امتداد العالم. واستناداً إلى هذه الوظائف يُمكن الحديث عن فلسفة نزول الكتب السماوية، وإرسال الأنبياء عليهم السلام الإلهيّين، ويندرج ذلك في إطار إتمام الخطّة الإلهيّة في خلق الإنسان الكامل؛ ليتمّ من خلاله - أي من خلال

(1) سورة العلق، الآية 6.
(2) سورة الأعراف، الآية 17.
(3) سورة يس، الآية 77.
(4) سورة الفرقان، الآية 44.
(5) سورة الأعراف، الآية 179.
(6) سورة الأنفال، الآية 22.

القدرات البشرية- إيجاد العدل وإعمار الأرض: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. ففي التعاليم الإسلاميّة يُعدّ كافّة البشر متساوين، من حيث جوهر الإنسانيّة والحيثيّة الذاتيّة، وقد اهتمّ الإسلام بحرّيّة الإنسان، واحترام حقوقه وكرامته الإنسانيّة. وأكّد على أنْ لا أهمّيّة للاعتبارات والأمور العرضيّة؛ كلون البشرة، والعرق، واللغة والقوم... وأمّا المعيار الوحيد للتمايز فهو التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]. من جهة أخرى، فإنّ طريق الوصول إلى الكمال الإنسانيّ، في ظلّ العمل الحسن، والإيمان الصحيح مفتوح أمام البشر كافّة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[3]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

ومن هذا المنطلق حدّد الإسلام للإنسان حقوقاً وتكاليف، حيث يظهر بعد دراستها والتعمّق فيها أنّ كلّ ما جاء في النظام الحقوقيّ الإسلاميّ، جاء في المنشور العالميّ لحقوق الإنسان لاحقاً.

فبناءً على الرؤية التوحيديّة، إنّ حقوق الإنسان تعتمد على «**التكريم الإلهيّ للإنسان**»، حيث خلق الله - تعالى - الإنسان في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ

(1) سورة الحديد، الآية 25.
(2) سورة الحجرات، الآية 13.
(3) سورة النساء، الآيتان 124-125.
(4) سورة النحل، الآية 97.

سَٰجِدِينَ ﴾[1]، وكرامة الإنسان وشرفه ناشئان من هذه النسبة، والإنسان موجود منسي إذا كان بعيداً عن الله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2]. وقد شرّع الإسلام مجموعة من الأحكام توضّح الحقوق والتكاليف في كافّة أبعاد الحياة الإنسانيّة، واعتبرت هذه الشريعة أنّ التقيّد بها أمر إلزاميّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3]. وقد أشارت مجموعة من الآيات القرآنيّة الشريفة إلى هذه الحدود[4].

والحدود عبارة عن الحدود الفاصلة بين الحقوق والتكاليف، والأوامر والنواهي، والحقّ والباطل، والعدل والظلم، والحلال والحرام؛ حيث يكون العمل بها إلزاميّاً؛ من أجل تحقّق المصالح، وسعادة الدنيا والآخرة.

إنّ حقوق الإنسان في التعاليم الإسلاميّة عبارة عن رحمة نازلة من الله – تعالى –. وينبغي على كلّ فرد من أفراد البشر، مراعاة حقوق الآخرين؛ كما طلب الله تعالى. وبعبارة أخرى: تعود جذور احترام حقوق البشر في الإسلام مدار مسألة التكريم الإلهيّ للإنسان[5].

ثالثاً: الحقوق الأساس للإنسان في الرؤية الإسلاميّة:

بما أنّه ليس بالمقدور توضيح كافّة حقوق الإنسان بشكل مفصّل، سوف نكتفي بالإشارة إلى أساسيّات حقوق البشر في الرؤية الإسلاميّة:

1. الكرامة الإنسانيّة:

يرى الإسلام أنّ الكرامة الإنسانيّة موهبة إلهيّة؛ كالوجدان والعقل، اللذين هما نعمتان إلهيّتان كبيرتان أعطاهما للإنسان. وقد كان هذا

(1) سورة الحجر، الآية 29.
(2) سورة الحشر، الآية 19.
(3) سورة البقرة، الآية 229.
(4) انظر: سورة البقرة، الآية 187؛ سورة النساء، الآيتان 13–14.
(5) انظر: الزحيلي، محمد: حقوق الإنسان في الإسلام، ط2، بيروت؛ دمشق، دار ابن كثير، 1418هـ.ق/ 1997م، ص 30–134.

الأمر في بداية الدعوة الإسلاميّة في مرحلة فقدت الكرامة الإنسانيّة موقعها في الحياة الاجتماعيّة للبشر، ثمّ إنّ الكرامة تمتلك خلفيّة منطقيّة، وكذلك جذوراً تعود إلى البعد المعنويّ والروحانيّ عند الإنسان، على أساس أنّ الله - تعالى - هو الذي أعطى الإنسان هذه الكرامة. ويؤكّد الرسول الأكرم ﷺ على أنّ للإنسان نوعين من الكرامة: الكرامة الذاتيّة، والكرامة الاكتسابيّة.

أ. الكرامة الذاتيّة:

وهي الكرامة التي يتساوى فيها جميع البشر؛ حيث يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

وجاء في آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]. وورد التأكيد على هذه الحقيقة في آية أخرى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3].

وأمّا منشأ هذه الكرامة، فهو العلاقة الهامّة والقيّمة بين الله - تعالى - والإنسان، والتي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4].

بناءً على الآيات الشريفة المتقدّمة؛ فالتكريم الإلهيّ يتعلّق ذاتاً بالإنسان. وبعبارة أخرى: يتجلّى التكريم الذاتيّ الإلهيّ في الإنسان، في الأمور الآتية: لقد جعل الله - تعالى - الإنسان خليفة له في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5]، وأمر الملائكة بالسجود له: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

(1) سورة الإسراء، الآية 70.
(2) سورة غافر، الآية 64.
(3) سورة التين، الآية 4.
(4) سورة ص، الآية 72؛ وانظر: سورة الإسراء، الآية 70.
(5) سورة البقرة، الآية 30؛ وانظر: سورة النور، الآية 55؛ سورة القصص، الآية 5.

أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وجعله الله - تعالى - محور الكتب السماويّة ورسالات أنبيائه عليهم السلام: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[2]، وسخّر له عالم الوجود: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[3]، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[4]، وجهّزه بنعمة العقل، ليستفيد من المواهب الإلهية أتمّ استفادة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5]، وأكرمه بالأخلاق والفضائل الإنسانية: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[6].

وعلى هذا الأساس، فالكرامة الذاتيّة الناشئة من التكريم الإلهيّ للإنسان تختلف عن الكرامة الذاتيّة المطروحة في المنشور العالميّ

(1) سورة البقرة، الآية 34؛ وانظر: سورة ص، الآيات 71-74؛ سورة الحجر، الآيات 28-31.
(2) سورة آل عمران، الآيتان 3-4؛ وانظر: سورة الحديد، الآية 25؛ سورة البقرة، الآية 38؛ سورة الإسراء، الآيتان 9-10؛ سورة المائدة، الآيات 44-46.
(3) سورة لقمان، الآية 20.
(4) سورة إبراهيم، الآيات 32-34؛ وانظر: سورة الملك، الآية 15؛ سورة النحل، الآيات 10-16، سورة الإسراء، الآية 12؛ سورة النبأ، الآيات 10-16؛ سورة يس، الآيات 71-73.
(5) سورة الرعد، الآيتان 3-4؛ وانظر: سورة آل عمران، الآيتان 90-91.
(6) سورة القلم، الآية 4؛ وانظر: سورة آل عمران، الآيات 104-110؛ سورة المائدة، الآية 2؛ سورة التوبة، الآية 71.

لحقوق البشر؛ حيث إنّ كرامة الإنسان في التعاليم الإلهيّة الإسلاميّة مرهونة لألطاف الله – تعالى –، وهذه الكرامة أمانة إلهيّة يجب العمل على حفظها.

ب. الكرامة الاكتسابيّة:

والمقصود منها الكرامة التي تحصل على أثر السعي والعمل المخلص في مسيرة «**الحياة الطيّبة**»، ويعود أساس الكرامة الاكتسابيّة إلى التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. وللكرامة الاكتسابيّة مراتب متعدّدة؛ فالكرامة الإنسانيّة من وجهة نظر الرسول ﷺ منشأ حقّ وتكليف. ومن هنا، يمتلك الإنسان حقّ الكرامة، وعلى المكلّفين الآخرين مدح هذه الكرامة والحفاظ عليها، بالإضافة إلى أنّ الفرد مكلّف – أيضاً – بالحفاظ على كرامة نفسه؛ فلا يجوز له أن يؤدّي بنفسه إلى مواطن الذلّ.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم، لوجدنا فيه أنّ كافّة القوى والاستعدادات الموجودة في وجود الإنسان تقتضي وجود الكرامة. والقرآن الكريم يمتدح الذين لا يبذلون كرامتهم بثمن بخس، وأمّا الذين يتحرّكون في مسير الطغيان، والأهواء، والانحرافات، فهم أشخاص ليسوا فقط فاقدين للكرامة، بل هم مجرمون يستحقّون العقاب؛ بسبب نيلهم من الكرامة الإنسانيّة.

ومن هنا، نرى القرآن الكريم يذمّ فرعون والفراعنة الذين جعلوا الناس صنفين: مجموعة المُمَيَّزين، وغير المُمَيَّزين، والذين غفلوا عن أصل الكرامة العامّ والشامل لجميع البشر.

وبناءً على ما تقدّم، إنّ كافّة البشر في النظام الحقوقيّ الإسلاميّ يمتلكون الأرضيّة المناسبة للحياة الطيّبة الإنسانيّة، وهم متساوون؛ لجهة امتلاك شروط الكمال الإنسانيّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

﴿ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[1].

2. **حقّ الحياة وآثاره:**

إنّ الحياة في الرؤية الإسلاميّة من علامات الرحمة الإلهيّة: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. فالإنسان نفخة من روح الله - تعالى -: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[3].

ومن الواضح أنّ رؤية كهذه تضفي على الحياة قيمة واقعيّة، وتعدّها أمانة بيد الإنسان؛ فالحياة ليست فقط حقّاً للأفراد، بل الحفاظ عليها عبارة عن تكليف. ومن جهة أخرى إنّ عبارة «**حرمة النفس**» في القرآن الكريم، وعنوان «**النفس المحترمة**» في الفقه الإسلاميّ، يُراد بهما كافّة البشر، والمقصود أنّ نفس كلّ إنسان محترمة؛ لأنّه إنسان، إلا أن يقوم الشخص عن علم وإدراك بالتعرّض لهذه الحرمة. وأهمّ الأحكام المترتّبة على العناوين المتقدّمة؛ هي:

أ. حرمة قتل النفس:

المتّفق عليه بين بني البشر احترام دم الإنسان وحرمة قتل النفس؛ حيث اعتبرت الأنظمة الحقوقيّة (الإلهيّة والوضعيّة) أنّ القتل من جملة الجرائم الكبيرة، وقد أولت تعاليم الإسلام أهمّيّة خاصّة لهذا الموضوع؛ حيث أصبح قتل إنسان يُعادل قتل جميع الناس، والعمل على نجاة إنسان من الهلاك بمنزلة نجاة كافّة البشر: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا

(1) سورة القصص، الآيتان 5-6.
(2) سورة الروم، الآية 50.
(3) سورة الحجر، الآية 29.

ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، حيث تُبيّن الآية الشريفة حقيقة اجتماعيّة وتربويّة تتجلّى في الآتي:

- إنّ الشخص الذي يقتل شخصاً بريئاً هو على استعداد - من الناحية الروحيّة- لغرس أصابعه في دماء أبرياء آخرين، والشخص الذي يُساهم بنجاة آخر هو على استعداد - من الناحية الروحيّة- لممارسة هذا السلوك العاطفيّ مع الأشخاص الآخرين.
- إنّ مصير المجتمع الإنسانيّ مرتبط بعضه ببعضه الآخر؛ فكلّ شخص مؤثّر بما يتناسب مع دائرته الوجوديّة في المجتمع الإنسانيّ، وكما يكون إحياء فرد مؤثّراً في حياة سائر الأعضاء، فمن الطبيعي أن يكون فقدان فرد مضرّ بكلّ المجتمع. من هنا، نرى أنّ الله - تعالى - قد نهى عن قتل الإنسان - من دون إجازة شرعيّة وقانونيّة - بشكل جدّي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2].

ومن جهة أخرى وصف القرآن الكريم عباد الله الحقيقيّين، بقوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[3].

وعندما كان قتل الأبناء أمراً معمولاً به، أكّد القرآن الكريم على منع هذا العمل: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[4]، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[5].

وجعل منع قتل الأبناء أحد شروط بيعة النساء للرسول الأكرم ﷺ:

(1) سورة المائدة، الآية 32.
(2) سورة الأنعام، الآية 151؛ وانظر: سورة الإسراء، الآية 33.
(3) سورة الفرقان، الآية 68.
(4) سورة الأنعام، الآية 140.
(5) سورة الإسراء، الآية 31.

﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾[1]. فكلّ من أراد الحياة مع الرسول ﷺ في المجتمع الإسلاميّ يجب عليه أن يُشجّع على حرمة قتل النفس، وأن يجتنب إراقة الدماء بغير حقّ.

وقد وردت روايات مستفيضة في حرمة قتل النفس، تؤكّد على أنّ الشريعة الإسلاميّة لا تحصر الحرمة -فقط- بخصوص ارتكاب قتل النفس، بل تتعدّاها إلى المعاونة على ذلك، واللامبالاة تجاهه، وإيواء القاتل[2].

ب. منع الانتحار:

بما أنّ الحياة في التعاليم الإسلاميّة أمانة إلهيّة، فالإنسان لا يحقّ له الاعتداء على هذه الحياة، لا بل هو مكلّف بالحفاظ عليها؛ فالله -تعالى- قد نهى عن الانتحار: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**من قتل نفسه متعمّداً فهو في نار جهنّم خالداً فيها. قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾**»[4].

ويُروى أنّه أخبر الرسول ﷺ عن شخص بأنّه سيكون من أصحاب جهنّم، فتعجّب بعض الحاضرين من هذا الكلام؛ لأنّ هذا الشخص من السبّاقين إلى عمل الخير، والحضور في ساحات الجهاد والسياسة. وبعد ذلك جُرِح في إحدى المعارك، ثمّ أقدم على الانتحار؛ ليتخلّص من الآلام التي سبّبها الجرح. فحقّ الحياة ذو قيمة كبيرة بحيث تكون جهنّم من نصيب ذاك الإنسان الذي أقدم على الانتحار، على الرغم من كلّ السوابق التي كانت له في الإسلام[5].

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.
(2) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط6، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1412هـ.ق/ 1991م، ج19، ص483.
(3) سورة النساء، الآيتان 29-30.
(4) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، م.س، ج19، ص13.
(5) آملي، فلسفة حقوق البشر، م.س، ص183.

ج. تشريع القصاص:

لعلّ من أبرز أوجه عظمة حقّ الحياة وقيمتها في الإسلام، تشريع القصاص؛ باعتباره جزاءً لقاتل النفس المحترمة: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. وقد أوضحت آيات أخر أحكام القصاص بشكل مفصّل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾[2]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

ويكفي في أهمّيّة حقّ الحياة في الإسلام أن يكون الاعتداء عليها، من وجهة نظر القرآن الكريم، في حكم محاربة الله والرسول ﷺ، ويُجازى المعتدون على أرواح الناس وأموالهم أشدّ الجزاء: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]. ويُشير هذا التعبير إلى اهتمام الإسلام الخاصّ بحقوق البشر وضرورة رعايتها.

3. **حقّ المساواة:**

والمقصود من هذا الحقّ أنّ جميع الناس متساوون أمام القانون، ويجب إجراء القانون عليهم، من دون تبعيض.

وقد أكّدت التعاليم الإسلاميّة على الأبعاد المختلفة لهذه المساواة، حيث نُشير إليها على نحو الإجمال:

(1) سورة البقرة، الآية 179.
(2) سورة البقرة، الآية 178.
(3) سورة المائدة، الآية 45.
(4) سورة المائدة، الآية 33.

أ. المساواة في أصل الإنسانيّة:

إنّ أصل المساواة بين البشر في الرؤية التوحيديّة للإسلام هو حقّ أساس؛ وذلك لأنّ الناس جميعاً قد خُلقوا من نفس واحدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]، ومن رجل واحد وامرأة واحدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2]، وقد وصلت النفخة الإلهيّة بشكل متساوٍ إلى جميع البشر: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾[3]، وكافّة البشر يتمتّعون بكرامة ذاتيّة: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[4]. وجميع البشر يمتلكون استعداد الوصول إلى السعادة الخالدة، وقابليّة اكتساب الكرامة العالية؛ حيث تُشكّل التقوى المعيار لهذه الكرامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[5].

ولقد صوّر الرسول الأكرم ﷺ أصل المساواة بشكل جميل، فقال: «**أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد. كلّكم لآدم، وآدم من تراب. إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى**»[6].

وعلى هذا الأساس جاء التصريح بأصل تساوي البشر، قبل قرون عديدة من التصريح به في الوثائق الدوليّة، حيث كان مورد اهتمام القرآن الكريم، ويلزم من ذلك المساواة في الحقوق والتكاليف، والمساواة في إجراء القانون.

(1) سورة النساء، الآية 1.
(2) سورة الحجرات، الآية 13.
(3) سورة السجدة، الآية 9.
(4) سورة الإسراء، الآية 70.
(5) سورة الحُجرات، الآية 13.
(6) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسّسة الوفاء، 1404هـ.ق/ 1984م، ج73، ص348.

ب. المساواة الاجتماعيّة:

إنّ منشأ المساواة الاجتماعيّة يكمن في المساواة في أصل الإنسانيّة. فجميع البشر هم متساوون في الحقوق الاجتماعيّة في المجتمع الإسلاميّ. وإنّ سيرة الرسول الأكرم ﷺ وسلوكه يُمكنهما أن يُشكّلا مصدر إلهام للبشريّة. ولعلّ سلوك الرسول ﷺ مع «**زيد بن حارثة**» من أبرز نماذج المساواة الاجتماعيّة، حيث كان زيد غلاماً لخديجة عليها السلام، أعطته لرسول الله ﷺ بعد الزواج. وكان زيد شديد التعلّق برسول الله ﷺ؛ حتى إنّه عندما جاء والده ليأخذه من مكّة، خيّره الرسول ﷺ بين البقاء والرحيل، فاختار البقاء إلى جانب الرسول ﷺ. فكان يتصرّف معه الرسول ﷺ على أنّه أحد أبنائه.

فأراد الرسول ﷺ أن يوضّح عدم أهمّيّة الطبقة والوضع العائليّ في الأفضليّة؛ فعقد لزيد على زينب حفيدة عبد المطلب. وكان ذلك خلافاً للسنّة الرائجة آنذاك، والتي تمنع الزواج بين الأشراف والطبقة الدنيا. وبهذا العمل تمكّن الرسول ﷺ من إيصال فكرة المساواة الاجتماعيّة إلى أذهان ذاك المجتمع؛ ليُبادروا إلى إصلاح سلوكهم الاجتماعيّ[1].

وأمّا الأنموذج الثاني، الذي يُشير إلى المساواة الاجتماعيّة، فهو زواج جويبر وذلفا. وكان جويبر رجلاً من أهل اليمامة، فاقد الجمال، فقير الحال، ولكنّه، وعلى الرغم من عدم جماله الظاهري، كان يمتلك جمالاً باطنيّاً وروحاً متعالية. فخاطبه الرسول ﷺ في يوم من الأيام، قائلاً: «**يا جويبر لو تزوّجت امرأة فعففت بها فرجك، وأعانتك على دنياك وآخرتك**». فقال له جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي. من يرغب فيّ. فوالله ما من حسب، ولا نسب، ولا مال، ولا جمال. فأيّة امرأة ترغب فيَّ؟ فقال له رسول الله ﷺ: « **يا جويبر إنّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهليّة شريفاً، وشرّف بالإسلام من كان في الجاهليّة وضيعاً، وأعزّ**

(1) ابن سعد، محمد أبو عبد الله: الطبقات الكبرى، لا ط، بيروت، 1405هـ.ق، ج3، ص40-47.

بالإسلام من كان في الجاهليّة ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهليّة وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها. فالناس اليوم كلّهم؛ أبيضهم، وأسودهم، وقرشيهم، وعربيهم، وعجميهم، من آدم. وإنّ آدم خلقه الله من طين. وإنّ أحبّ الناس إلى الله - عزّ وجلّ - يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم». فتزوّج جويبر من ذلفا ابنة زياد بن لبيد؛ وهو من كبار الأنصار، فعاش الاثنان معاً حياة هادئة سليمة. وبعد شهادة جويبر في إحدى الغزوات كثر الخطّابون لذلفا، وكثر احترامها[1].

ونُقِل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد زوَّج جويبراً: «**لتتّضع المناكح، وليتأسّوا برسول الله صلى الله عليه وآله، وليعلموا أنّ أكرمهم عند الله أتقاهم**»[2].

فلم يسمح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأن تعود حالة الفخر الجاهليّ، وأن تكون معياراً للتفاضل الاجتماعيّ.

ج. المساواة في الاستفادة من الطبيعة:

تؤكّد التعاليم القرآنية على أنّ الناس متساوون في الاستفادة من النعم الموجودة في الطبيعة، على الرغم من الاختلافات الظاهريّة القائمة بينهم، حيث إنّ الإنسان بما هو إنسان يمتلك حقّ الاستفادة من هذه المائدة الإلهيّة اللامتناهية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

إنّ خطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الذي جاء في القرآن الكريم نحو عشرين مرّة[4]، هو خطاب عامّ، وجامع، ويوضّح - حقيقة - أنّ الإسلام والقرآن

(1) انظر: الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، طهران، دار الكتب الإسلامية، 1388هـ.ق، ج5، ص340-343.
(2) م.ن، ص344.
(3) سورة البقرة، الآيتان 21 - 22.
(4) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط2، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1378هـ.ش، ج6، ص117.

لم يختَصّا بقوم، ولا بجنس، ولا بزمان، ولا بمكان معيّنين. وكما أنّ البشر متساوون في أصل الخلقة، وأنّ الخالق واحد، فإنّ النعم الموجودة في الطبيعة متعلّقة بجميع البشر. فلم يذكر القرآن الكريم أيّ تقسيم، وأيّ شروط للاستفادة من الطبيعة والنعم السماويّة؛ سوى عمل الإنسان وسعيه.

إنّ المساواة الحقوقيّة للأفراد – في الظروف الواحدة المتساوية – من جملة آثار الرؤية الكونيّة التوحيديّة؛ بمعنى أنّ جميع البشر، وبغضّ النظر عن الخصائص الشخصيّة والوطنيّة والتاريخيّة والقوميّة، ...، متساوون من ناحية الحقوق والتكاليف.

يقول الرسول الأكرم ﷺ في هذا الخصوص: «**الخلق أمام الحقّ سواء...، الناس سواء؛ كأسنان المشط**»[1].

د. المساواة في تنفيذ القانون:

فقد منع الإسلام أيّ نوع من أنواع التبعيض أو الوقوف إلى جانب الباطل في الحكم وفي تنفيذ القانون. وخاطب الله – تعالى – الرسول ﷺ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾[2]، ثمّ وجّه الله – تعالى – أمراً عامّاً لكافّة البشر: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[3]، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾[4]. ومن هنا، فإنّ العدالة التي يتحدّث عنها الإسلام عبارة عن قانون عامّ شامل لجميع البشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[5].

وتُبيّن سيرة الرسول ﷺ أنّ الحفاظ على هذا الأصل سبب سلامة المجتمع والحكومة، والعدول عنه يؤدّي إلى هلاكهما وزوالهما.

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج75، ص251؛ ج78، ص247.
(2) سورة المائدة، الآية 48.
(3) سورة النساء، الآية 58.
(4) سورة الأنعام، الآية 152.
(5) سورة المائدة، الآية 8؛ وانظر: سورة النساء، الآية 135.

ويروى أنّه سَرَقت امرأة من أشراف قريش. فأمر الرسول ﷺ بقطع يدها، عند ذلك دخل بعض الأشخاص على الرسول ﷺ يطلبون منه عدم إجراء الحكم. فخاطبهم الرسول ﷺ، قائلاً: «**وإنّما هلك مَنْ كان قبلكم بمثل هذا. كانوا يقيمون الحدود على ضعفائهم، ويتركون أقوياءهم وأشرافهم، فهلكوا**»[1].

فلقد منع الرسول ﷺ التبعيض في إجراء القانون، وقال: «**إنّما هلك بنو إسرائيل؛ لأنّهم كانوا يقيمون الحدود على الوضيع دون الشريف**»[2].

وحُكِمَ على امرأة من بني مخزوم بتهمة السرقة، فحاول أسامة بن زيد التدخّل لمنع إجراء الحكم، فمنعه الرسول ﷺ عن ذلك، وقال: «**إنّما هلك من كان قبلكم؛ أنّهم كانوا يُقيمون الحدّ على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها**»[3].

ويقول مارسيل بو آزار؛ المحقّق في المركز العالي في جنيف، في هذا الخصوص: «يبرز العالم الإسلاميّ ويشعّ من خلال امتيازين قويّين: الأوّل: الإيمان بالله. والثاني: إنكار أيّ أفضليّة قوميّة وعرقيّة، وتأكيده على المساواة الإنسانيّة. لقد تمكّن الرسول ﷺ من خلال الإعلان عن هذه الأصول، من القضاء بالكامل على العصبيّة القوميّة والعرقيّة للعرب في الجاهليّة، وعلى العصبيّة اليهوديّة، وعلى عصبيّة مشركي مكّة. إنّ أيّ دين لم يُعطِ الإنسان شخصيّته؛ كما فعل الإسلام... لقد كان سلوك رسول الإسلام ﷺ مع اليهود والنصارى سلوكاً أخويّاً... أراد الإسلام إيجاد عالم يعيش فيه جميع البشر - حتى الذين ما زالوا على دينهم السابق - حالة التفاهم والتعاون والأخوّة والمساواة»[4].

(1) النوري، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط2، بيروت، 1408هـ.ق/ 1988م، ج18، ص7.

(2) م.ن.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيروت، دار القلم، 1407هـ.ق، ج8، ص573.

(4) بوآزار، مارسيل: الإسلام والعالم المعاصر، ترجمة: مسعود محمدي، طهران، مركز نشر الثقافة الإسلامية، 1369هـ.ش، ص202.

4. **الحريّة:**

على الرغم من أنّ الوثائق الدولية لحقوق البشر أشارت في بعض الموارد إلى حريّة نوع الإنسان في المنشور العالمي لحقوق البشر[1]، وميثاق الحقوق المدنية - السياسية[2]؛ إلا أنّ المحاور الأساس لتلك الحريّة تتركّز حول الفردية منها؛ وهذا يعني أنّ الفرد من الإنسان حُرّ في امتلاك العقيدة والبيان، وإجراء المراسم الدينية، تعتمد على أصالة الفرد؛ مع العلم أنّ الحرّية حقّ فردي واجتماعي.

وللحريّة معانٍ مختلفة ومتعدّدة؛ وذلك باعتبار الأبعاد الفلسفيّة والنفسيّة والأخلاقيّة والحقوقيّة، وأمّا عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة؛ فيؤدّي إلى مزيد من الخلط في الأبحاث، والمغالطة في الدراسات، ومن أبرز مفاهيم الحرّيّة التي تؤدّي الغفلة عنها إلى سوء قراءة النصوص الدينيّة والإسلاميّة، مفهوما «**الحرّيّة التكوينيّة**» و«**الحرّيّة التشريعيّة**».

- **الحريّة التكوينيّة (الفلسفيّة):**

وهي تعني الاختيار المقابل للجبر؛ بمعنى أنّ الإنسان من الناحية التكوينيّة حُرّ في حدود نشاطاته الإراديّة، ولقد أوضح الله - تعالى - للإنسان طريقي «**الهداية**» و «**الضلال**»: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3]، وجاء في آية أخرى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[4]. أي أنّ الإنسان، وبعد حصول الهداية الإلهيّة، مختار في انتخاب الطريق الذي يريد؛ وذلك انطلاقاً من حرّيّته - في الوقت عينه؛ انطلاقاً من مسؤوليّته -، وتؤدّي هذه الحرّيّة إلى تحمّله الثواب والعقاب الصادرين من حسن سلوكه أو سوء اختياره.

(1) المواد، 1، 3، 5، 16، 18، 19، 20.
(2) المواد، 6-13.
(3) سورة الإنسان، الآية 3.
(4) سورة الكهف، الآية 29.

فالحريّة التكوينيّة أو الفلسفيّة في الواقع، هي جوهر الإنسانيّة، ومبنى كرامة الإنسان، وسبب امتيازه عن الحيوانات الأخرى. وفي ظلّ هذه الحرّيّة يُصبح للدين والتديّن معنىً، وتتّخذ أعمال الإنسان الإراديّة صفة الأخلاقيّة، وتتّصف بالحسن والقبيح.

- الحرّيّة التشريعيّة:

المقصود من الحرّيّة التشريعيّة؛ مشروعية كافّة خيارات انتخاب الإنسان وجوازها؛ وذلك في حدود القانون، وليس بشكل مطلق؛ لذلك يُطلق على هذا النوع من الحرّيّة عنوان «**الحرّيّة القانونية**» أو «**الحرّيّة الحقوقيّة**»؛ مثال ذلك: الإنسان من الناحية التكوينية حُرٌّ في اختيار العمل الذي يريده؛ لتأمين معاشه، ولكنّ هذه الحريّة التكوينيّة قد تُصبح محدودة من الناحية الشرعيّة؛ فالإسلام على سبيل المثال: حرّم تأمين المعاش عن طريق الاستثمار بالربا؛ وهذا يعني أنّ الإنسان، على الرغم من امتلاكه حرّيّة تكوينيّة في اختيار هذا العمل، ولكنّه يمتلك حرّيّة قانونيّة وشرعيّة.

ومن هنا، كانت الخيارات غير الشرعيّة في التعاليم الإسلاميّة؛ كالمعاملات غير الشرعيّة، فاقدة للاعتبار الحقوقيّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وفي بعض الحالات يؤدّي الإتيان بالخيارات غير القانونيّة إلى العقاب والجزاء؛ فالاعتداء على أموال الغير يؤدّي إلى العقاب. وقد يكون بالإمكان في بعض الحالات منع الأفراد من الأعمال غير القانونيّة عن طريق الإجبار الفيزيائيّ؛ لأنّ الحرّيّة القانونيّة ليست حقّاً مطلقاً. ومن هنا، لا يحقّ للشخص الإتيان بالأعمال غير القانونيّة تحت حجّة وجود أصل الحرّيّة.

(1) سورة البقرة، الآية 188.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أصل الحرّيّة التكوينيّة الذي هو الاختيار الفلسفيّ المقابل للجبر الفلسفيّ، يتمتّع ببداهة واضحة، بحيث لم يُنكره أيٌّ من المذاهب القانونيّة.

وقد وقع الاختلاف في مسألة الحرّيّة التشريعيّة وحدودها، حيث أشرنا إلى أنّ هذه الحرّيّة ليست مطلقة، بل تقبل التحديد من خلال عوامل عدّة، أبرزها: حقّ الله -تعالى- الذي هو منشأ الحقوق، ومن العوامل المحدّدة لها؛ وهذا يعني أنّ كافّة الحقوق والحرّيّات يُمكن توضيحها والحديث عنها على أساس حقّ الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى منع الاعتداء على حقّ الله، ولذلك لا يُمكن للشخص أن يعتمد على الحرّيّة، للفرار من طاعة الله أو للغفلة عن الحقّ الإلهي: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. كما يُمكن فهم الجهاد الابتدائيّ في ظلّ الدفاع عن حقّ الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

ويُعدّ الوصف من الناحية العقليّة تابعاً في أصل تحقّقه لوجود الموصوف، وبما أنّ وجود الإنسان محدود، فإنّ أوصافه الكماليّة؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة؛ كلّها أمور متناهية أيضاً. وبناءً على ذلك، فإنّ العامل الأساس لتحديد حرّيّة البشر هو الله - تعالى - الذي أعطاه وجوداً محدوداً، وجعل لكلّ شيء قدراً خاصّاً: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[4]، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[5]. ولذلك كان للحرّيّة قدر خاصّ، عيّنه الله - تعالى - وحدّده.

(1) سورة يوسف، الآية 40.
(2) سورة الأنفال، الآية 39.
(3) سورة القمر، الآية 49.
(4) سورة الفرقان، الآية 2.
(5) سورة الطلاق، الآية 3.

وقد بدأ الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، وقبل تدوين المنشور العالمي لحقوق البشر، وقبل المحاولات الدوليّة، بمحاربة العبوديّة، وعمل على إعطاء الإنسان الحرّيّة المنشودة.

كما قدّم الإسلام خططاً تُساعد في حرّيّة العبيد، وسعى في ذلك، من خلال عدّة محاولات: أمّا المحاولة الأولى؛ فهي إغلاق المصادر غير الشرعيّة وغير العقليّة للعبوديّة. فعندما كانت العبوديّة جائزة في جميع الحالات، جاء الإسلام ليضع حدوداً لذلك، فشرط العبوديّة بالشروط الحربيّة، حسب ما يراه الحاكم من صلاحيّة. والعبوديّة في هذه الحالات عبارة عن جزاء للمعتدين الذين يُهدّدون الحقيقة والأمان.

ثمّ فتح الإسلام طرقاً متعدّدة لتحرير العبيد، فجعل أحد مصارف الزكاة الثمانيّة متعلّقاً بتحرير العبيد: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، واعتبر أنّ تحرير العبيد من جملة العبادات. وقد فتحت الكتب الفقهيّة والروائيّة باباً تحت عنوان باب العتق. وكان الأئمّة عليهم السلام السبّاقون في هذا الإطار، حيث كُتب في أحوال الإمام علي عليه السلام أنّه: «**أعتق ألفاً من كد يده**»[2]. وكذلك كان علماء الدين يتحيّنون الفرص والمناسبات لتحرير العبيد[3].

ويُضاف إلى ما تقدّم أنّ التاريخ هو أصدق دليل على هذا الادّعاء، حيث رفع الإسلام شخصيّة العبد. وكان سلمان وبلال وعمّار وقنبر من جملة العبيد الذين تمّ عتقهم، فأصبحوا من أبرز صحابة رسول الله ﷺ. وبشكل عامّ أوصى الإسلام بحسن التعاطي مع العبيد «**استوصوا بالأسارى خيراً**»[4].

(1) سورة التوبة، الآية 60.
(2) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج41، ص43.
(3) انظر: الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، م.س، ج16، ص32-37.
(4) ابن هاشم، السيرة النبوية، م.س، ج2، ص472.

يقول أبو عزيز؛ وهو من أعلام قريش الذين تمّ أسرهم في معركة بدر: «منذ أن أوصى الرسول ﷺ بالأسرى، كنّا محترمين بينهم، فلم يُقْبِلوا على الطعام ما لم نشبع»[1].

وأمّا فيما يتعلّق بحرّيّة العقيدة والفكر والبيان، فينبغي القول: إنّ الإسلام، هو دين الفكر والعقيدة، وقد احتلّت حرّيّة الفكرة والبيان أهمّيّة كبيرة في تعاليم الإسلام، وورد في القرآن الكريم حثّ كبير على التفكير ومدح للمفكّرين والعقلاء، بالإضافة إلى الحرب المستمرّة التي قادها الرسول ﷺ ضدّ أيّ نوع من أسباب العبوديّة الفكريّة، وتحطيم سلاسل القيود العقليّة، وتحريره من الخرافات: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2]، كلّ ذلك شكّل دليلاً واضحاً على هذا الادّعاء.

5. حقّ التعليم والتربية:

إنّ التعليم الصحيح والتربية الصحّيّة من الحقوق الأساس للإنسان. والله - سبحانه وتعالى - في تعاليم الإسلام يُعدّ أوّل مربٍّ ومعلّم للإنسان[3]. وهذا الأمر من جملة افتخارات «**العلم**»و«**التعليم والتعلّم**». ويرى الإسلام أنّ التعليم والتربية ليسا حقّاً للإنسان فقط. بل هما فريضة وتكليف.

ولعلّ من أهمّ أهداف أنبياء الله تعالى عليهم السلام -وبالأخصّ نبي الإسلام ﷺ - تعليم البشر وتربيتهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]. ويُستفاد من عبارة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أنّ

(1) م.ن، ص645.
(2) سورة المائدة، الآية 104؛ وانظر: سورة البقرة، الآيتان 170-171.
(3) انظر: سورة العلق، الآيات 1-5.
(4) سورة الجمعة، الآية 2؛ وانظر: سورة آل عمران، الآية 164.

التربية أصل والتعليم فرع لها، وطلب العلم في الرؤية الإسلاميّة، فريضة إلهيّة[1]. والتعليم والتربية أمران واجبان على المجتمع، وعلى الحكومة تأمين الطرق والوسائل إلى ذلك الأمر... ومن حقّ كلّ إنسان السعي فيما من أجله التربية والتعليم، ومن حقّه على المؤسّسات والدولة أن توفّر له ما يؤدّي إلى تربية شخصيّته؛ بشكل يساهم في زيادة إيمانه بالله تعالى[2].

ولعل من أبرز افتخارات رسول الإسلام ﷺ تعميم التعليم والتربية. فلقد عمل الرسول ﷺ على وضع إمكانيّات النموّ والتطوّر والتحصيل العلميّ في متناول أيدي الجميع، بحيث إذا رغب أيّ شخص في الوصول إلى الكمال يُمكنه ذلك، مهما كانت الطبقة التي ينتمي إليها.

ولقد أصبحت هذه المسألة حقيقة واقعيّة في مدينة الرسول ﷺ، بعد انتصار المسلمين في معركة بدر، حيث كان من بين أسرى المشركين من يعرف القراءة والكتابة، فأعلن الرسول ﷺ حينها عن تحرير كلّ أسير يقوم بتعليم عشرة من أطفال الأنصار. وقد ساهم هذا الأمر في تعلّم عدد من أطفال المسلمين، وكان من جملتهم: زيد بن ثابت، الذي تعلّم القراءة والكتابة على أيدي الأسرى[3]. وفي هذه المحاولة أظهر الرسول ﷺ اهتماماً واضحاً بالتعليم والتربية، وبتحرير الأسرى، حيث يُمكن أن تكون هذه الحالة مصدر إلهام للبشر على مرّ العصور.

وخاطَب الإمام الصادق عليه السلام حسّان المعلّم، قائلاً: «**أن يكون الصبيان عندك سواء في التعليم. لا تُفضّل بعضهم على بعض**»[4].

وأمّا الذين يعدّون التعليم أمراً طبقيّاً، فلن تكون لهم عاقبة حسنة؛ طبق الرؤية الإسلاميّة. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين**

(1) المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج1، ص172؛ ج26، ص28-29.
(2) انظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادّة 9، بنود أ - ب.
(3) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، م.س، ج2، ص22.
(4) الكليني، الكافي، م.س، ج5، ص121.

وضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار»[1]. فالتعليم والتربية في تعاليم الإسلام حقّان أساسان للبشر، ويتمتّعان بمنزلة متعالية.

خاتمة:

لقد طُرِحَت مسألة حقوق الإنسان منذ قديم الأيام، وفضل السابقة فيها يعود إلى عهد بعيد من تاريخ البشر. وأمّا الهدف من طرح هذه المسألة، فهو تأمين الحدّ الأقلّ من حقّ حرّيّة الأفراد، ومواجهة تعثّر الحكومات والسلطات المختلفة في هذا الخصوص. ويُمكن القول بوضوح: إنّ مسألة حقوق الإنسان ليست ظاهرة غربيّة، وليست محصولاً للحضارة الغربيّة، بل حقوق الإنسان هي ثمرة جهاد أنبياء الله عليهم السلام والمصلحين الاجتماعيّين وعملهم وجهدهم.

إنّ جذور حقوق الإنسان تعود إلى الدين، وإلى الكتب السماويّة، وبالأخصّ إلى القرآن الكريم. وأمّا الحقوق الأساس التي جاء الإعلان العالميّ لحقوق البشر على ذكرها؛ أمثال: الكرامة الإنسانيّة، وحقّ الحياة، وحرّيّة الفكر والبيان، وحقّ المساواة، وحقّ التعليم والتربية... فقد ذكرها الإسلام قبل قرون عديدة على صدور ذاك الإعلان.

(1) ابن بابويه، محمد بن علي (الصدوق): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403هـ.ق/ 1362هـ.ش، ص352-353.